لماذا الهجوم على شيخ الإسلام "ابن تيمية" الآن؟؟

الكاتب : وليد ملحم

التاريخ : 25 يوليو 2015 م

المشاهدات : 5482

من يقلب صفحات التاريخ الإسلامي يجد بأن الغزاة المعتدين على ثغوره ومدنه.. هم مع غزوهم العسكري يجتهدون على مسخ الدين الذي هو سر قوة المسلمين وسبب نهوضهم ومادة كيانهم وبقائهم وعزهم وازدهارهم.. وهذا حال الأمم المنتصرة فهي تسعى إلى فرض نمطها الديني والسلوكي على الأمم المقهورة والمهزومة... فلما هاجم التتار بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية اصطحبوا معهم نصير الدين الطوسي الفيلسوف.. الذي حاول إطفاء نور النبوة وضياء القرآن.. بزبالات الفلاسفة من أمثال أرسطو وابن سينا والفارابي..

لكن الله كان لهم بالمرصاد وفشلت خطتهم.. وعندما غزا نابليون مصر دعم التصوف بل أمر بإحياء الموالد.. يذكر المؤرخ المصري الجبرتي أن المستعمرين الفرنسيين عندما احتلوا مصر بقيادة نابليون بونابرت انكمش الصوفية وأصحاب الموالد فقام نابليون وأمرهم بإحيائها ودعمها.

يقول الجبرتي في كتابه (تاريخ عجائب الآثار) عن حال أحد المقامات الشركية: فدفنوه بمعرفة أخيه في قطعة حجر عليها من هذا المسجد من غير مبالاة ولا مانع وعمل عليه مقصورة ومقاماً وواظب عنده بالمقرئين والمداحين وأرباب الأشاير والمنشدين بذكر كراماته وأوصافه في قصائدهم ومدحهم ونحو ذلك ويتواجدون ويتصارخون ويمرغون وجوههم على شباكه وأعتابه ويغرفون بأيديهم من الهواء المحيط به ويضعونه في أعبابهم وصار ذلك المسجد مجمعاً وموعداً فلما حضر ".. الفرنساوية " إلى مصر تشاغل عنه الناس وأهمل شأنه في جملة المهملات وترك مع المتروكات، فلما فتح أمر الموالد

والجمعيات.. ورخص "الفرنساوية" ذلك للناس لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات والتلاهي وفعل المحرمات أعيد هذا المولد مع جملة ما أعيد.. [1] بعد انهيار الاتحاد السوفياتي كشرت أمريكا الصليبية عن أنيابها لتنهش وتنتقم من العالم الإسلامي، فجهزت الجيوش والأساطيل وأطلقت كلابها المسعورة وهم الشيعة في تحالف قديم جديد لتدمير وإبادة أهل السنة مادة الإسلام وعموده الفقري.

وقد عرف أعداؤنا بأن سر قوة أهل السنة ينبع من عقيدتهم الصافية وتوحيدهم الخالص.. لذلك هم يحاولون جاهدين تفريغ أهل السنة من حصنهم الحصين ومعقلهم المتين.. عقيدتهم السلفية النقية. متخذين شعار حرب غلو فكر ابن تيمية (ظلماً وعدواناً) ظاهراً.. ويضمروا إِسْتِئْصَال عقيدة أهل السنة بأكملها باطناً.... فلماذا انْتِقَاء ابن تيمية للهجوم عليه؟؟؟

في القرن السابع بدأ بريق عقيدة السلف الناصع بالخفوت على إثر ظهور وانتشار الكثير من العقائد الباطلة والمنحرفة وشمل هذا الانحراف عوام الناس وعلماءهم إلا القليل ممن رحم الله.. فالساحة الإسلامية آنذاك مضطربة وتعج بالكثير من الفرق والمقالات والمذاهب الكلامية والفلسفية، كذلك التصوف القبوري والحلولي الاتحادي والتعصب والتقليد المذهبي، وتأويل صفات الله سبحانه وتعالى الذي كان يتصدره المذهب الأشعري، وكان يعتبره معتنقوه أنه هو مذهب أهل السنة في مقابل عقائد المعتزلة والجهمية، يضاف إلى ذلك وجود فرق الرافضة من إمامية وزيدية وباطنية درزية ونصيرية.

في كل هذه الأمواج المتلاطمة من الانحرافات نشأ وترعرع في خضمها شيخ الاسلام، كذلك ولد ابن تيمية والأمة لم تصحُ بعد من ضربات التتار والصليبيين بل استمرت حتى عند تصدره للإمامة والعلم.. لقد كان ابن تيمية نابغة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى يمتاز بذكاء فطري خارق ومفرط، وسرعة بديهة وحافظة عجيبة وسيلان ذهن.

نشأ بدمشق حاضرة العالم الإسلامي آنذاك هي والقاهرة. وتبحر في علوم الكتاب والسنة، وأمسك بزمام علوم الآلة من عربية وأصول فقه ودرس المذاهب الكلامية والفلسفية حتى أصبح رأساً لا يجارى وارتوى وتشبع من كل فن من فنون العلوم حتى أصبح يناظر المتخصصين فيه. مع ورع وتقوى ومخافة لله وكرم نفس ومروءة وشجاعة في قول الحق وحسن خلق..

قال في فضله صاحب الدرر: وكان يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر ما لا يقدر أحد على أن يورده في عدة مجالس كأنه هذه العلوم بين عينيه فأخذ منها ما يشاء ويذر.. [2]

وقال جمال الدين السرمري في أماليه: ومن عجائب ما وقع في الحق من أهل زماننا أن ابن تيمية كان يمر بالكتاب مطالعة مرة فينتقش في ذهنه وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه [3] ولقد أنصف الإمام العلامة، قاضي قضاة الإسلام بهاء الدين بن السبكي حيث يقول لبعض من ذكر له الكلام في ابن تيمية: والله يا فلان ما يبغض ابن تيمية، إلا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به. [4]

وذكر ابن دقيق العيد: "لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد.. [5] لقد اطلع " ابن تيمية " على عقيدة السلف وسبر أقوالهم وعرف مواقفهم وشرب من معين منبعهم الصافي حتى تظلع .. وفهم هذه الأقوال وهضمها ومن ثم عرضها على أبناء عصره صافية نقية وتحمل في سبيل نشرها أنوع البلايا والصعاب وصبر على ذلك الصبر الجميل.

فرجل مثل ابن تيمية يستحق وبكل جدارة أن يكون هو عقدة الربط.. وصلة الوصل بين أجيال السلف وأجيال الخلف وقطب الرحى في بث ونشر عقيدة خير القرون بعد أن انزوت في واقع متردي ومتخلف.

فلا يبعد أن يقال إن علوم السلف قد جرت أنهاراً وصبت في شخص ابن تيمية ومن ثم بثت جداول وسواقي وعيوناً ليرتوي

منها الخلف وكل طالب للحق. فجدد الله به الدين ونصر به الملة. صاحب ذلك انتصار لعقيدة الولاء والبراء في رد رائع ومفحم ومتماسك لا يدع فيه لمبطل مهرباً ولا متنفساً، فمن يطالع كتب ردوده على فرق الضلال والزيغ يعرف قيمة هذا الرجل ومدى تشبعه بالمعرفة والعلوم ومن شاء فليتصفح كتابه العظيم "منهاج السنة النبوية" في الرد على الشيعة والقدرية..

يقول الشيخ الهراس: وهو كتاب جليل القدر مملوء بالتحقيقات العلمية التي تنم عن غزارة علم وسعة اطلاع كما أن مناقشاته في هذا الكتاب، تشهد له بالبراعة في ميدان الجدل والقدرة على مناقشة الخصوم.. ويقول الهراس: وكان ابن تيمية أيضاً يعرف المسيحية وعقائد فرقها المختلفة معرفة جيدة وقد وضع كتاباً سماه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح).. هـ [6] ولا يغالي المرء في الادعاء بأنه لا توجد فرقة من فرق الضلال إلا وقد نالت نصيبها من ردود ابن تيمية عليها سواء في كتاب مستقل أو في ثنايا كتبه وهذا إن دل، فيدل على أن ابن تيمية قد خبر أقوال الفرق واكتشف مكامن ضعفها وخطأها فهو: عالم بواجب وقته يعرف ما يدور حوله وما يفرضه واقعه عليه... لقد أصبح ابن تيمة يمثل بشخصه ورسمه علماً على العقيدة الصحيحة عقيدة السلف الناصعة البياض.. وهو قدوة يمثل نهضة في زمن انحطاط مشابه لكثير من مفرداته ما تمر به أمتنا به في وضعها الراهن.

من أحب ابن تيمية فقد أحب السنة ومن أبغض ابن تيمية فقد أبغض السنة حاله كحال الكثير من علماء الأمة الذين واجهوا الانحراف ونصرالله بهم الدين.

قال قتيبة بن سعيد: إذا رأيت الرجل من أهل البصرة يحب أيوب فاعلم أنه على الطريق وقال رجل لأحمد بن حنبل رحمه الله: من السني قال من أين أنت قال من أهل البصرة قال أتحب أيوب السختياني قال نعم قال فأنت سني [7]

قال أحمد الدورقي: من سمعتموه يذكر أحمد بسوء فاتهموه على الإسلام.... وعن سفيان بن وكيع قال: أحمد عندنا محنة، من عاب أحمد عندنا فهو فاسق [8] كذلك كان ابن تيمية قائمًا بميزان الحق ناشراً للسنة، وأنه الحد الفاصل بين منهج أهل السنة والجماعة والمنافح عنه، وبين منهج أهل البدع والغواية.

إن ابن تيمية مجدد من مجددي هذا الدين ورمز للعقيدة السلفية فلا عجب أن يكون غرضاً تتوجه إليه سهام الحاقدين والحاسدين من ملل الكفر والضلال، فالطعن به هو طعن في الدين وهدم لما قعد من قواعد سلفية بل ضَرْب لعقيدة السلف في الصميم، فلا عجب أن كل من هب ودب وكل متردية ونطيحة وكل صوفي مبتدع وكل شيعي محترق وكل ليبرالي زائغ، يهاجم منهج ابن تيمية ولا غرابة أن تتزعم أمريكا الصليبية هذه الحملة الشعواء وتلصق بمنهج ابن تيمية كل سُبَة ونقيصة ومَثلبْ من غلو وتكفير وتفجير، والغاية هي الطعن بمنهج السلف الصالح الذي هو سر قوة المسلمين، وما يثير الغرابة أن ابن تيمية هو من أبعد الناس عن التكفير حتى قال: هذا مع أني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني.. أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى وأني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية [9] ومن عجيب صنعه ووسطيته: أنه طلب إطلاق أسارى النصارى من قائد التتار كما طلب إطلاق أسرى المسلمين... يقول ابن تيمية: وقد عرف النصارى كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى، وأطلقهم غازان، وقطلوبشاه، وخاطبت مولاي فيهم فسمح بإطلاق المسلمين. قال لي: لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس، فهؤلاء لا يطلقون. فقلت له بل جميع من معك من اليهود والنصارى، الذين هم أهل ذمتنا، فإنا نفتكهم، ولا ندع أسيراً، لا من أهل الملة، ولا من أهل الذمة. وأطلقنا من النصارى من شاء الله، فهذا عملنا وإحساننا، والجزاء على الله. [10]

وما سطره ابن تيمية من أحكام الردة والحرابة والحدود فإنما نقله من أقوال الأئمة الأربعة وغيرهم مثل الأوزاعي وسفيان

الثوري والليث بن سعد، لكن أعداءنا لا يبحثون عن الحقيقة وصدق قول الله فيهم: "وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" (14) النمل.

لقد بدأنا نسمع من هنا وهناك في هذا البلد أو ذاك عن منع كتب ابن تيمية ومحمد عبد الوهاب وابن باز وابن عثيمين والألباني وهدف أعدائنا هو ظهور أجيال من أهل السنة تتربى على حلقات الطرب الصوفي تتمايل وتتناغم مع التشيع.. كلأ مباحاً. تكون جسراً لليبرالية لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً.... لكن الله ناصر دينة... فمات ابن تيمية حبيس سجنه.. ولكن مات السجان وبقيت دعوة ابن تيمية ينهل منها كل طالب للحق ومريد للهدى.. وها هي مكتبات العالم زاخرة بكتبه التي أبهرت الباحثين بحسن التقرير وجميل الصنعة ودقة الاستنباط... "يرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" (8) الصف.

---

[1] تاريخ عجائب الآثار ج 3 ص ..138 ط مطبعة دار الكتب المصرية

[2] الدرر الكامنة .. ص 153 ط دار الجيل بيروت

[3] الدرر الكامنة ص 153 ط دار الجيل بيروت

[4] الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ص 24 ط مؤسسة الرسالة

[5] الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ص 29 ط مؤسسة الرسالة

[6] ابن تيمية السلفي , للهراس ص 28 ط ... المطبعة اليوسفية بطنطا ط 1952

[7] بيان تلبيس الجهمية نسخة وورد

[8] التنكيل بما تأنيب الكوثري من الأباطيل ص 366 ط .. الثانية .. المكتب الإسلامي

[9] ج 3 ص 229 ط مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ط . الأوقاف السعودية)

[10] مجموعة الفتاوى ص 336 .. ط دار الوفاء

صيد الفوائد

المصادر: